المحور السادس: التميز من منظور الفكر الإسلامي

يمثل التميز في الفكر الإسلامي قيمة مركزية في بناء الإنسان والمجتمع، وهو ليس مجرد سعي لتحقيق أداء يفوق الآخرين، بل هو تحقيق للإتقان والريادة وفق المبادئ والأخلاق الإسلامية، يقوم هذا التصور على أسس روحية، أخلاقية، معرفية وعملية تحول السلوك البشري إلى فعل هادف، متقن ومسؤول.

ويعبر عن الفكر الإداري الإسلامي بوصفه مجموعة الآراء والمبادئ والنظريات التي تشكلت وتطورت عبر العصور في ميدان الإدارة دراسة وتطبيقا، واستمدت أصولها من توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية، ومن ثم تعد هذه المبادئ والتصورات تشريعا إداريا إسلاميا قائما بذاته، يتميز بمرجعيته الشرعية واستقلاله عن التيارات الفكرية الإدارية الأخرى.

ويأتي التشريع الإداري في الإسلام مختلفا عن الاتجاهات الفلسفية والمناهج المعاصرة، فهو لا يميل نحو المادية البحتة كما في بعض المدارس الإدارية الحديثة التي تركز على الكفاءة والإنتاج فقط، ولا يتطرف نحو الاهتمام بحاجات الفرد على حساب الأهداف المؤسسية العامة، بل يقدم رؤية متوازنة ومتكاملة تحقق الانسجام بين مصالح الفرد ومصالح الجماعة دون إفراط أو تفريط، فالفرد له قيمته وحقوقه وقدراته التي ينبغي رعايتها وتنميتها، والجماعة لها مصالحها وأهدافها التي يجب صونها وتعزيزها، وتبقى العلاقة بينهما علاقة تكامل لا صراع، وتساند لا تناقض.

إن هذا التوازن يعد من أهم الخصائص المميزة للفكر الإداري الإسلامي، إذ يضمن:

- تحقيق العدالة والاعتدال في القرارات والسياسات.
- بناء بيئة عمل تحترم الإنسان وتحثه على الإتقان.
- الحفاظ على مصلحة المؤسسة دون إهمال حاجات العاملين.
- تكوين مجتمع مؤسسي يسوده التعاون والتكافل والمسؤولية المشتركة.

وبذلك، يقدم الفكر الإداري الإسلامي نموذجا إداريا فريدا، يجمع بين القيمة والفعالية، وبين الأخلاق والإنجاز، ويجعل من الإدارة نشاطًا إنسانيًا راقيًا يخدم الفرد والمجتمع في آن واحد.

وبالتالي فان التميز في الفكر الإسلامي قيمة أصيلة وهو ليس مجرد تفوق في الأداء أو السبق في الإنجاز كما تراه النماذج الأخرى بقدر ما هو منهج حياة يقوم على الإحسان والإتقان والاستقامة، وتحقيق المنفعة للإنسان والمجتمع وفق منظومة أخلاقية متكاملة ومحكمة.

ومن بين أهم الأسس الاتي يقوم عليها التميز في الفكر الإسلامي جملة من الممارسات والمبادئ هي:

أولا. مبدأ الشورى:

تعد الشورى ركنا أساسي من أركان الإدارة الإسلامية، وهي مبدأ يوجه عملية اتخاذ القرار في المؤسسات وفق رؤية تشاركية تقوم على احترام آراء العاملين وإشراكهم في تشخيص المشكلات واقتراح الحلول، وقد أكد القرآن الكريم هذا المبدأ في قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾، وهو توجيه مباشر للنبي ﷺ، ما يعكس أهمية المشورة ومكانتها العليا في بناء الإدارة الرشيدة.

وتبرز قيمة الشورى في أنها تلزم القائد بالاستماع إلى من يعملون معه والأخذ بآرائهم والاستفادة من خبراتهم مع احتفاظه في النهاية بحق اتخاذ القرار وتحمل مسؤوليته، فالشورى لا تلغي دور القائد وإنما تمنحه رؤية أعمق وتساعده على اتخاذ قرارات أكثر حكمة وتوازناً.

وتحقق الشورى عدة مكاسب إدارية جوهرية منها:

- تحسين جودة القرارات من خلال تعدد الآراء وتنوع الخبرات.
- تعزيز التعاون والانسجام بين القائد والتابعين.
- رفع مستوى الرضا الوظيفي لدى العاملين من خلال إشراكهم في صنع القرار.
- ترسيخ الولاء المؤسسي، إذ يشعر العاملون بأنهم جزء له اهميته.
- زيادة الفاعلية والإنجاز داخل المنظومة الإدارية من خلال العمل بروح جماعية.

وبذلك تعد الشورى أحد مقومات التميز الإداري في الفكر الإسلامي لأنها تقدم نموذجا راقيا للإدارة الحديثة القائمة على المشاركة، التمكين، الثقة والشفافية، بما ينسجم مع مبادئ الحوكمة القيمية والفعالية المؤسسية.

ثانيا. العدل

يعد العدل من القيم الجوهرية التي حث عليها الإسلام في جميع شؤون الحياة، وهو مبدأ محوري في الإدارة الإسلامية التي تبني قيادتها وممارساتها على المساواة والإنصاف، وقد أكد القرآن الكريم هذا المبدأ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ فهذا التوجيه الإلهي يرسخ مسؤولية القائد في إقامة العدل بين الافراد دون تمييز أو تحيز بغض النظر عن مناصبهم أو مكانتهم الاجتماعية.

والعدل في الإدارة يعني أن الجميع سواسية أمام القائد سواء في الحقوق والواجبات أو في التقييم والفرص، فالقائد العادل يضع الشخص المناسب في المكان المناسب ويكافئ بإنصاف ويحسم النزاعات بموضوعية.

ثالثا. إتقان العمل والإخلاص فيه

يولي الإسلام قيمة هامة لمبدأ إتقان العمل بوصفه أحد أهم مرتكزات التميز والجودة في الأداء الإنساني، فالإسلام لا يكتفي بمجرد إنجاز العمل بل يدعو إلى اتقانه، وتحقيق أعلى مستويات الجودة فيه والحرص على خلوه من العيوب والسعي المستمر للتحسين والتطوير فيه، ويظهر هذا المعنى بوضوح في قول الله تعالى:

﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ فالإحسان في العمل مقرون بالمكافأة الإلهية مما يعكس مكانته العالية في المنظومة القيمية الإسلامية، حيث يسهم في:

- رفع مستوى الأداء وتحسين مخرجات المنظمة.
- تعزيز الثقة بين العاملين والمتعاملين.
- تحقيق التميز المؤسسي من خلال الجودة العالية المستمرة.
- ترسيخ ثقافة التحسين الدائم داخل بيئة العمل.

فالإتقان قيمة جوهرية في الإدارة الإسلامية يترتب عليها أثر مباشر في تحقيق الريادة والتفوق والتميز في العمل الفردي والمؤسسي.

رابعا. القدوة

القدوة الحسنة هي أن يكون سلوك الفرد منسجما مع المبادئ والقيم التي يدعو إليها، بحيث يقدم نموذجا عمليا يقتدى به، فالتميز في الإسلام لا يتحقق بالكلام أو رفع الشعارات بل بالأفعال التي تجسد صدق الالتزام وتترجم القيم إلى ممارسة واقعية.

وتعد القدوة الحسنة من الصفات الجوهرية في شخصية القائد المتميز، فهو يستمد تأثيره من سلوكه قبل أقواله ويسعى من خلالها إلى حشد الأفراد من حوله، وبناء الثقة في أفكاره ورؤيته للمؤسسة ومستقبلها، وهكذا يصبح عمله أداة إلهام تحقق التغيير وتدعم مسار التميز داخل المنظمة

خامسا. الموازنة بين مصلحة الفرد والجماعة

يعد التوازن من أهم الأسس التي يقوم عليها فكر التميز الإسلامي، فهو أصل حرية الفرد وركيزة حماية المجتمع، فغياب التوازن يؤدي إلى اهتزاز القيم واختلال بنيان الإدارة بينما وجوده يضمن انسجاما بين مختلف مكونات الحياة الفردية والجماعية.

ويجعل الفكر الإسلامي من تحقيق مصالح الفرد وسيلة لتحقيق مصالح المجتمع، بحيث لا ينظر إلى المصلحة الفردية بمعزل عن المصلحة الجماعية، كما أن التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة يمثل الأساس الذي تقوم عليه الحركة النشطة داخل المجتمع حيث يسعى كل طرف إلى خدمة الآخر وتحقيق مصلحته مما يؤدي إلى استقرار اجتماعي وإداري ويعزز مسار التميز والتنمية المستدامة.